Al-Tarikh Va Al-Hazarah Al-Islamiyah
Royat Al-Mu'asirah
ISSN: 2783-5154

Typology of the Verses of Ghadir*

Mohammad Ali Rezaei Esfahani
Professor, Al-Mustafa International University.
Rezaee.quran@gmail.com

Abstract

The gathering at Ghadir occurred on the 18th of Dhu al-Hijjah in the 10th year of the Hijra, during the return of the pilgrims from Mecca to Medina. This significant event was closely accompanied by the Qur'an, both through verses revealed during or after the event and through previously revealed verses that the Prophet (s) cited, explicitly or implicitly, in his sermon to the people.

In the sermon of Ghadir, the Prophet (s) referred to more than fifty Qur'anic verses, highlighting both the Qur'anic grandeur of the event and the Imamate of Imam Ali (a). The Qur'an itself thus serves as the best source for establishing this important event. Some of these verses were revealed on the occasion of Imam Ali's (a) appointment to the Imamate (e.g., the verses of *Tabligh* and *Ikmal*), while others were used to support and reinforce the arguments and content of the sermon. From the perspective of Qur'anic sciences, these verses can be categorized into four groups: 1. Verses whose exegesis directly relates

* Rezaei Esfahani, M. A. (2025). Typology of the Verses of Ghadir. *Al-Tarikh va Al-Hadarah al-Islamiyah; Ruyat al-Mu'asirah, 5*(2), pp. 9-34.
https://doi.org/10.22081/ihc.2025.73703.1107

▣ **Article Type:** Research; **Publisher:** Islamic Sciences and Culture Academy

▣ **Received:** 2024/10/14 ●**Revised:** 2024/11/08 ●**Accepted:** 2025/02/15 ●**Online publication:** 2025/06/10

© 2025
authors retain the copyright and full publishing rights

to Imam Ali (a) or the event of Ghadir, such as the verses of *Tabligh* and *Ikmal*. 2. Verses whose *ta'wil* (esoteric meaning) relates to Imam Ali (a) or Ghadir, such as the verses *"kalimah bāqiyah"* and *"janb Allah"*. 3. Verses that, based on the principle of *jurrī*, are applied to Imam Ali (a) or Ghadir, such as the verse *"al-ṣirāṭ al-mustaqīm"* or verses of praise addressing *"ayyuha alladhīna āmanū"*. 4. Verses that are related to Imam Ali (a) or the event of Ghadir, such as the opening verses of Sūrat al-Mā'ārij: *"sa'ala sā'ilun bi-'adhābin wāqi'in * lil-kāfirīn lāisa lahu dāfi'"*.

Keywords
The Holy Qur'an, Ghadir, Ali ibn Abi Talib (a), exegesis (*tafsir*), esoteric meaning (*ta'wil*), principle of *jurrī* and application (*taṭbīq*).

التاريخ والحضارة الإسلامية
رؤية معاصرة
ISSN: ٢٧٨٣-٥١٥٤

تصنيف آيات الغدير*

محمد علي رضائي أصفهاني
أستاذ جامعة المصطفى ﷺ العالمية
Rezaee.quran@gmail.com

الملخص

اجتمع الناس في غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة من العام العاشر الهجري، في طريق عودة الحجاج من مكة إلى المدينة. صاحب هذا الحدث المهم حضور بارز للقرآن الكريم، سواء بالآيات التي نزلت أثناء هذا الحدث أو بعده، أو بالآيات التي نزلت في السابق وذكرها النبي الأكرم ﷺ في خطبته للناس صراحة أو تلميحًا. ذكر النبي الأكرم ﷺ في خطبة الغدير أكثر من خمسين آية، مما يدل على العظمة القرآنية لواقعة الغدير وإمامة الإمام علي عليه السلام، وأن أفضل مصدر لإثبات هذا الحدث المهم هو القرآن نفسه. بعض هذه الآيات نزلت بمناسبة تنصيب الإمام علي عليه السلام للإمامة (مثل آية التبليغ وآية الإكمال)، وبعضها استشهد به أو استُدل به لاستكمال الحجج ومحتويات الخطبة. من منظور العلوم القرآنية، يمكن تقسيم هذه الآيات إلى أربع فئات: الفئة الأولى هي الآيات التي تفسر في شأن الإمام علي عليه السلام أو واقعة الغدير، مثل آية التبليغ (المائدة، ٦٧) وآية الإكمال (المائدة، ٣). والفئة الثانية هي الآيات التي تأويلها وباطنها في شأن الإمام علي عليه السلام أو واقعة الغدير، مثل آية "كَلِمَةً بَاقِيَةً" (الزخرف، ٢٨) و "جَنبِ اللَّه" (الزمر،

* رضائي اصفهاني، محمّد عليّ. (٢٠٢٥م). تصنيف آيات الغدير. التاريخ والحضارة الإسلامية، رؤية معاصرة، ٥(٢)، صص ٩-٣٤.

https://doi.org/10.22081/ihc.2025.73703.1107

© المؤلفون * نوع المقالة: مقالة بحثية * الناشر: المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية.

■ تاريخ الإستلام: ٢٠٢٤/١٠/١٤ ● تاريخ التعديل: ٢٠٢٤/١١/٠٨ ● تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٢/١٥ ● تاريخ الإصدار: ٢٠٢٥/٠٦/١٠

٥٦) و... . والفئة الثالثة هي الآيات التي تم تطبيقها على الإمام علي عليه السلام أو واقعة الغدير بناءً على قاعدة الجري، مثل آية "الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" أو آيات المدح التي تتضمن خطاب "أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا". والفئة الرابعة هي الآيات المرتبطة بالإمام علي عليه السلام أو واقعة الغدير، مثل الآيات الأولى من سورة المعارج "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ".

الكلمات المفتاحية

القرآن، الغدير، علي بن أبي طالب عليه السلام، التفسير، التأويل والباطن، الجري والتطبيق.

المقدمة

بعد النبوة، تُعدّ الإمامة أهم ركن في الإسلام. وقد أولى النبي الأكرمﷺ اهتمامًا خاصًا لهذا الأمر المهم منذ بداية بعثته. ولذلك، كان النبي، منذ البداية وفي كل مناسبة، يُعرِّف بخليفته ووصيّه الذي يأتي بعده (الطبرسي، ١٣٩٠هـ، ص ١٦٢). وفي العام العاشر الهجري، في مكان يُعرف بغدير خم، وأثناء عودته من حجة الوداع، وبأمر إلهي (المائدة، ٦٧)، جمع الحجاج وخطب فيهم، ونصّب الإمام عليعليه السلام وليًا وإمامًا وخليفة ووصيًا له. هذا الحدث مقبول لدى جميع المسلمين، وقد نُقل عبر التاريخ من قِبل صحابة النبي، والمؤرخين، وكُتاب السيرة، والمفسرين، والمحدثين من الشيعة وأهل السنة (الأميني، ١٤١٦هـ، ج١، صص ٢٦-٣٠). على الرغم من وجود اختلافات في فهم أقوال النبي الأكرمﷺ.

كانت سنّة النبي الأكرمﷺ استخدام آيات القرآن في خطبه. وفي خطبة الغدير، شكّلت آيات القرآن جزءًا كبيرًا من كلام النبي، حيث بلغت أكثر من ٥٠ آية. بعض الآيات ذُكرت بالكامل، وبعضها الآخر كان مقطّعًا ولكن ألفاظه محفوظة، وفي بعض الحالات ذُكرت مفاهيم الآيات دون التصريح بالآية نفسها. وفي سياق هذا الحدث التاريخي العظيم، أي قبل خطبة النبيﷺ وبعد إلقاء الخطبة، نزلت آيات أيضًا في هذا الشأن.[1]

ارتباط الآيات المذكورة[2] بمسألة إمامة الإمام عليعليه السلام وخلافته وولايته متفاوت. ويمكن تقسيم أنواع آيات الغدير من منظور العلوم القرآنية إلى أربع فئات: تفسيرية، تأويلية (باطنية)، تطبيقية (جري)، وآيات مرتبطة.

حول واقعة غدير خم وتنصيب الإمام عليعليه السلام للإمامة، كُتبت كتب ومقالات عديدة، أشهرها كتاب "الغدير" للعلامة الأميني. وفيما يتعلق ببحث

١. آية الإكمال. آية السائل.
٢. الآيات النازلة في واقعة الغدير أو المرتبطة بها والآيات الموجودة في خطبة الغدير.

الآيات المرتبطة بالغدير أو الآيات المذكورة في خطبة الغدير، يمكن الإشارة إلى كتاب "غدير در قرآن، قرآن در غدير" لمحمد باقر أنصاري، و"آيات الغدير" لعلي الكوراني، و"خطبة غدير و آيات مطرح شده در آن" للسيد جواد حسيني.

تحديد المفاهيم

من الضروري في البداية توضيح بعض المصطلحات:

أ: التفسير: هذه الكلمة تعني في الأصل الإيضاح والكشف (الفراهيدي، ١٤١٠هـ، ج٧، ص ٢٤٧). واصطلاحًا هي إظهار وكشف معاني كلمات وجمل القرآن، وتوضيح مقاصدها وأهدافها (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ص ٦٣٦؛ الطباطبائي، ١٤١٧هـ، ج١، ص ٤؛ رضائي أصفهاني، ١٣٨٧ش، صص ٢٣ و ١٣٨٣، صص ٣٥-٣٩).

والمقصود في هذا البحث بالآيات التفسيرية، هي الآيات التي يدل تفسيرها على موضوع الغدير.

ب: التأويل: كلمة التأويل مشتقة من مادة "أول" بمعنى الرجوع، وتأتي في باب التفعيل بمعنى الإرجاع (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ص ٩٩؛ الطبرسي، ١٣٧٢ش، ج٣، ص ١٣). ولها في الاصطلاح معانٍ متعددة (السيوطي، ١٣٦٠هـ، ج٢، ص ١٩٢)، والمعنى المشهور لدى المتأخرين هو المعنى المخالف للظاهر اللفظي، والذي يتضح بقرينة (الذهبي، ١٣٨١ه، ج١، ص ١٣؛ معرفة، ١٤١٧هـ، ج٣، ص ٢٨). وكما أنها تأتي أحيانًا بمعنى الباطن (معرفة، ١٤١٧هـ، ج٣، ص ٢٨).

ج: البطن: تعني الخفي وغير الظاهر (ابن فارس، ١٤٢٣هـ، ج١، ص ٢٥٩)، وهي معنى من القرآن لا يُفهم من ظاهر الكلام. وبعض أهل الرأي يرون أنها بمعنى القاعدة الكلية المستنبطة من الآية والتي تُفهم بإلغاء الخصوصية (معرفة، ١٣٨٣، ج١، ص ٣٠). وقد ذُكرت معانٍ أخرى للبطن أيضًا (الطباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٣، صص ٤٤-٦٥؛ رضائي أصفهاني، ١٣٨٧ش أ، صص ١٩٧-٢٣٩).

في هذا البحث، التأويل والبطن مترادفان، والمقصود بهما هو المعنى من القرآن الذي لا يُفهم من ظاهر الكلام، بل يحتاج فهمه إلى كلام الراسخين في العلم.

د: التطبيق (الجري): هو انطباق ظاهر القرآن (الكلمات أو الجمل) الذي يحمل مفهومًا عامًا أو كليًا أو مطلقًا على مصاديق جديدة تظهر عبر العصور والأجيال والأماكن. ولا يختلف في هذا الشأن ما إذا كانت الآية قد نزلت سابقًا في حق شخص أو حدث معين أم لا. وقاعدة الجري هي إحدى قواعد التفسير.

قاعدة "الجري" تختلف عن "تأويل" الآية؛ لأن في التأويل يُراعى المعنى المخالف لظاهر الآية، أما في "الجري" فيُراعى المعنى الظاهري للآية. وكذلك قاعدة "الجري" تختلف عن "البطن"؛ لأن قاعدة الجري والتطبيق هي نوع من تطبيق ظواهر القرآن على المصاديق، أما في البطن، فهي نوع من تطبيق باطن القرآن على المصاديق الجديدة (رضائي أصفهاني، ١٣٨٧ش ب، ج١، ص ٤٤١).

هـ : الخطبة: تُطلق على خطاب الشخصيات "خطبة"، مثل خطب نهج البلاغة. والمقصود هنا هو خطاب النبيﷺ في يوم ١٨ ذي الحجة من العام العاشر الهجري في غدير خم، والذي نُقل بثلاث صور: مختصرة، متوسطة، ومفصلة في كتب الأحاديث (المجلسي، ١٤٠٤هـ، ج٣٧، ص ١٦٦ وما بعدها). وفي هذا البحث، سيتم دراسة الخطبة المفصلة (الطبرسي، ١٤٠٣هـ، ج١، صص ٥٥-٦٧).

ملامح آيات الغدير

يمكن النظر إلى ارتباط الآيات بالغدير من جهتين: الأولى هي الآيات التي نزلت في شأن واقعة الغدير أو تتعلق بحدث له صلة وثيقة بالغدير، والثانية هي جميع الآيات التي استخدمها النبي الأكرمﷺ في خطبة الغدير. وفي هذا البحث، سيتم تناول كلا النوعين من الآيات.

من آيات المجموعة الأولى، يمكن الإشارة إلى آية الإكمال (المائدة، ٣) وكذلك آية التبليغ (المائدة، ٦٧)، حيث يرتبط سبب نزولهما بالغدير (السيوطي، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص ٢٩٨). وأيضًا آية السائل (المعارج، ١-٢) التي يرتبط موضوعها بالغدير (فرات الكوفي، ١٤١٠هـ، صص ١٨٩-١٩٠).

المجموعة الثانية هي الآيات التي استخدمها النبيﷺ في خطبة الغدير. ورغم أن سنّة النبي الأكرمﷺ كانت استخدام آيات القرآن في خطبه وكلماته، فإن النقطة اللافتة في خطبة الغدير هي أن جزءًا كبيرًا من كلام النبي كان مستلهمًا من آيات القرآن.

تصنيف الآيات الموجودة في الخطبة

يمكن تقسيم الآيات المستخدمة في خطبة الغدير من حيث المحتوى إلى عدة أنواع: الآيات التوحيدية التي استخدمت في بداية الخطبة، الآيات المتعلقة بفضائل الإمام عليعليه السلام، الآيات الخاصة بتعريف مقام الإمامة والولاية، الآيات المتعلقة بالأوامر الإلهية بشأن الولاية، الآيات التي جاءت كبشرى للمصدقين بالغدير، وآيات التحذير للمنافقين، والآيات التي تهدد منكري الغدير، بالإضافة إلى الآيات المتعلقة بالقرآن الكريم. في هذا البحث، لن يتم التركيز على الآيات التوحيدية والآيات المتعلقة بالقرآن.

أما من حيث طريقة الاستفادة وكيفية استخدام الآيات في الخطبة، فيمكن تقسيمها كما يلي:

أ: الآيات التي استُخدمت ألفاظها حرفيًا في الخطبة: مثل هذا المقطع من الخطبة حيث يقولﷺ: "... لِأَنَّهُ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنِّي إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيَّ فَمَا بَلَّغْتُ رِسَالَتَهُ وَقَدْ ضَمِنَ لِي تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعِصْمَةَ وَهُوَ اللَّهُ الْكَافِي الْكَرِيمُ فَأَوْحَى إِلَيَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. .. يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فِي عَلِي يعْنِي فِي الْخِلَافَةِ لِعَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍعليه السلام وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ و اللَّهُ

يعْصِمُك مِنَ النَّاس..." (الطبرسي، ١٤٠٣هـ، ج١، صص ٥٥-٦٧)، وهو تصريح بآية التبليغ: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ " (المائدة، ٦٧). وكذلك مقطع آخر من الخطبة حيث قالﷺ: "... وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيَّ بِذَلِك آيَةً مِنْ كِتَابِهِ- إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ راكِعُونَ وَعَلِي بْنُ أَبِي طَالِبعليه السلام أَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَهُوَ رَاكِعٌ يرِيدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ حَال..." (الخطبة)، وهو تصريح بآية الولاية: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" (المائدة، ٥٥).

ب: الآيات التي لم يُصَرَّح بألفاظها حرفيًا في الخطبة، بل أُشير إليها ضمنًا واستُخدم مفهومها: مثل قولهﷺ: "... وَ قَالَ أَ لَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ قَالُوا نَعَمْ يا رَسُولَ اللَّهِ" (الخطبة)، والذي يشير إلى قوله تعالى: "النَّبِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ" (الأحزاب، ٦). وكذلك الجزء الذي دعا فيه النبيﷺ إلى الله تعالى: "... اللَّهُمَّ إِنَّك أَنْزَلْتَ عَلَيَّ أَنَّ الْإِمَامَةَ بَعْدِي لِعَلِي وَلِيك عِنْدَ تِبْيانِي ذَلِك وَنَصْبِي إِياهُ بِمَا أَكْمَلْتَ لِعِبَادِك مِنْ دِينِهِمْ وَ أَتْمَمْتَ عَلَيهِمْ بِنعْمَتِك وَرَضِيتَ لَهُمُ الْإِسْلاَمَ دِينا..." (الخطبة)، والذي يشير إلى آية الإكمال: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِينًا" (المائدة، ٣).

سيتم تناول كلا القسمين من هذه الآيات في البحث المقصود.

أنواع آيات الغدير

تختلف الآيات المتعلقة بالغدير من حيث دلالتها وطريقة دلالتها على واقعة الغدير ومحورها الأساسي، وهو طرح مسألة خلافة المعصومينعليهم السلام الدائمة محل النبيﷺ على رأس المجتمع الإسلامي. ففي بعض الحالات، تدل ظاهرة الآية وتفسيرها على المطلوب، وهي ما نسميها "الآيات التفسيرية"، وفي حالات أخرى ترتبط بالغدير عن طريق التأويل وباطن الآية، وبعض الآيات ترتبط بالغدير من خلال

التطبيق وبيان المصداق. أما بعض الآيات، فعلى الرغم من أن التفسير هو المقصود منها، إلا أنها لا تتعلق بموضوع الغدير مباشرة، بل بموضوع له ارتباط بحدث الغدير، فوضعناها في قسم رابع.

أولًا: الآيات التفسيرية

أحيانًا تدل ظواهر الآيات على واقعة الغدير أو محورها (ولاية الإمام علي عليه السلام). وبالرغم من أن ظهور الآية يتضح أحيانًا بمساعدة سبب النزول والأحاديث، إلا أن دلالة الآية تكون على نحوٍ بحيث ليس لها تفسير سوى واقعة الغدير، أو أن الاحتمالات الأخرى للآية قد ضعّفها أو ردّها المفسرون. ومن هذه الآيات:

١. آية التبليغ

نُقل في العديد من المصادر الشيعية والسُنّية بتعبيرات مختلفة أن الآية: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" (المائدة، ٦٧)، نزلت بشأن تبليغ خلافة الإمام علي عليه السلام يوم غدير خم، حيث أُمِر النبي صلى الله عليه وآله بتبليغ ولاية علي عليه السلام للناس (السيوطي، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص ٢٩٨؛ الفخر الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٣، ص ٦٣٦؛ الواحدي، ١٤٢٥هـ، ص ٢٠٤). وقد أشار العلامة الأميني أيضًا في كتاب "الغدير" إلى ناقلي ورواة هذه الواقعة من مختلف الفرق (الأميني، ١٤١٦هـ، ج١، صص ٢٦-٣٠).

تتميز الآية المذكورة بعدة خصائص:

أ) ترد صيغة الخطاب "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ" في آيتين فقط من القرآن، وإحداهما هي هذه الآية، مما يوضح أن مضمون الآية مرتبط برسالة النبي صلى الله عليه وآله.

ب) هذه الآية هي الوحيدة في القرآن التي تُحذّر النبي صلى الله عليه وآله من التقصير في التبليغ، وهذا الأمر مهم لدرجة أن القرآن اعتبره معادلًا لكل رسالة النبي صلى الله عليه وآله.

ج) تتحدث الآية عن حفظ النبيﷺ (من الأعداء) وتمنحه وعدًا بالحماية.

هذا المجموع من الملاحظات يشير إلى أنه كان هناك أمر مهم يجب تبليغه، وأن تبليغه مرتبط بمصير الرسالة، وكان له أعداء كثر، لدرجة أن تبليغه كان خطيرًا على النبيﷺ. ولهذا، لا يمكن أن يكون موضوع الآية أمورًا مثل محاربة الشرك، أو تبليغ الأحكام الإسلامية، أو محاربة أهل الكتاب والمنافقين؛ لأن هذه الأمور كانت مطروحة قبل نزول هذه الآية.

من هذه الآية يتضح أن كلمة "مَوْلَى"، التي تأتي في اللغة بمعنى "القيّم، والقائد، والصديق، والنصير"، في حديث الغدير: "...مَن كنتُ مَولاهُ فهذا عليٌّ مَولاهُ..."، قد جاءت بمعنى القيادة (الولاية)؛ لأنه: أولًا، إعلان محبة عليعليه‌السلام لا يتطلب كل هذه المقدمات والخطب. وثانيًا، إعلان محبة عليعليه‌السلام لم يكن شيئًا يخشى النبيﷺ من إعلانه فيتطلب مواساة وتطمينات من الله.

على الرغم من أن الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية تعني بـ "الكافرين" بالمعنى الاصطلاحي، إلا أن كلمة "الْكَافِرِينَ" في هذه الآية جاءت بمعنى اللغوي، أي المنكرين والحاقدين (المُغطّين للحق)، وتشير إلى منكري خلافة عليعليه‌السلام الذين لن يهديهم الله. وقد ورد الكفر بمعنى الإنكار أيضًا في الآية ١٠٢ من سورة البقرة والآية ٩٧ من سورة آل عمران (رضائي أصفهاني، ١٣٨٧هـ، ج٥، صص١٧٦-١٧٨).

٢. آية الإكمال

في روايات عديدة من أهل السنة والشيعة، تم التصريح بربط واقعة الغدير بآية الإكمال: "الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة، ٣).

من بين الذين أشاروا إلى هذا المعنى في مصنفاتهم يمكن ذكر: الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني، والحافظ ابن مردويه الأصفهاني، والحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، والحافظ أبو سعيد

السجستاني، وأبو الحسن ابن المغازلي، والشافعي، والحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني، والحافظ أبو القاسم بن عساكر الشافعي الدمشقي، وخطيب الخطباء الخوارزمي، حيث أقروا بهذا الأمر في آثارهم. وقد أورد العلامة الأميني هذه الحالات بالكامل مع النص المطلوب (الأميني، ١٤١٦هـ، صص ٤٥-٦٢).

وكذلك صرّح الشيعة في مؤلفات عديدة بأن آية الإكمال نزلت بشأن علي عليه السلام وأُبلغت للناس يوم الغدير (فرات الكوفي، ١٤١٠هـ، ص ٥١٥؛ الصدوق، ١٣٧٦هـ، ص ٢؛ الطبرسي، ١٣٩٠هـ، ص ١٦٥؛ العلامة المجلسي، ١٤٠٤هـ، ج٢٩، ص ٣٥؛ الخصيبي، ١٤١٩هـ، ص ٥؛ العياشي، ١٤١١هـ، ج١، ص ٢٩٣).

تتحدث الآية المذكورة عن يوم "إكمال الدين وإتمام النعمة" وهو يوم يئس فيه الكفار. وهناك احتمالات مطروحة من قبل المفسرين بخصوص المقصود من هذا اليوم المهم والمصيري للإسلام، وأغلبها خارج نطاق العقل والعرف:

أ) أنه هو اليوم الذي حُرِّمت فيه هذه اللحوم (الميتة والدم).

هذا الاحتمال غير صحيح، أولًا، لأن مضامين الآية المذكورة تأتي أيضًا في الآية ١٧٣ من سورة البقرة والآية ١١٥ من سورة النحل، وهي مطالب مكررة وتوكيدية. ثانيًا، هذه الأحكام ليست آخر الأحكام التي نزلت على النبي صلى الله عليه وآله لتكمل دين الإسلام، بل نزلت بعد ذلك أحكام أخرى في سورة المائدة نفسها. ثالثًا، لم يكن نزول هذه الأحكام مؤثرًا إلى درجة تجعل معنويات الكفار تيأس من الإسلام.

ب) أن يكون يوم فتح مكة، أو يوم نزول آيات سورة براءة، أو يوم ظهور الإسلام وبعثة النبي صلى الله عليه وآله.

هذه الاحتمالات أيضًا غير متوافقة تاريخيًا مع زمن نزول الآية المذكورة، والذي كان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بحوالي ثمانين يومًا.

ج) يوم عرفة الذي كان في آخر حجة للرسول صلى الله عليه وآله.

هذا الاحتمال أيضًا غير صحيح، لأنه لم يحدث في يوم عرفة أمر جلل يجعل

الكفار ييأسون. إلا أن يقال: إن الآية نزلت يوم عرفة ولكن النبيﷺ أجّل تبليغها للناس في يوم غدير خم خوفًا من رد فعل المنافقين تجاه تبليغ ولاية الإمام عليعليه السلام؛ (وقد رويت رواية بهذا الخصوص) (العياشي، ١٤١١هـ، ج١، ص ٢٩٣). ويقبل العلامة الطباطبائيرحمه الله هذا الرأي أيضًا (الطباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٥، ص ٢٠٩). ويُحتمل أيضًا أن محتوى الآية (مسألة الولاية) نزل يوم عرفة، وأن آية الإكمال نزلت وبلّغت يوم الغدير. وروايات سبب نزول الآية ٦٧ من سورة المائدة تشهد على هذا الأمر (الطبرسي، ١٣٧٢هـ، ج٣، ص ٣٤٤).

د) المقصود بـ "اليوم" هو يوم غدير خم.

وتؤيد روايات كثيرة من الشيعة (العياشي، ١٤١١هـ، ج١، ص ٢٩٣؛ النعماني، ١٣٩٧هـ، ص ٢١٦؛ الشيخ الصدوق، ١٤٠٥هـ، ج١، ص ٢٧٧ وج٢، ص ٦٧٥؛ الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، صص ١٩٨ و ٢٩٠) وأهل السنّة (الحسكاني، ١٤١١هـ، ج١، صص ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٥٦) سبب النزول هذا.

أي أنه عندما عيّن رسول اللهﷺ رسميًا عليًّاعليه السلام خليفة له، وأمن سندًا قويًا لمستقبل الإسلام، كمل دين الله ويئس الكفار وأعداء الإسلام؛ لأنهم شاهدوا أن الإسلام ليس قائمًا على شخص واحد، بل سيخلفه شخص عالم، عادل، زاهد، وقوي. بهذه الطريقة، ومع تكامل خط القيادة، اكتمل الإسلام، وبموهبة الإمامة الإلهية، تمت نعم الله على البشر، وفي ذلك اليوم ارتضى الله الخطة الكاملة للإسلام وقُبلت كمنهج نهائي للبشرية.

والسبب في وضع هذه الآية بين الأحكام المتكررة المتعلقة بالأطعمة الحلال والحرام هو لكي تكون في مأمن من تحريف المخالفين، الذين لم يدخروا وسعًا في توجيه أي تهمة للنبيﷺ وللإسلام والطعن في ولاية عليعليه السلام (مكارم، ١٣٧٤هـ، ج٤، ص ٢٧٠).

إذن، قوام مذهب الإسلام هو استمرار القيادة الإلهية، وبامتداد القيادة الإلهية يكتمل الدين ويرضى عنه الله وتتم نعمته، ويأس الكفار. لأن كل أمل

الكفار كان معلقًا بفقدان قائد الإسلام، ومع استمرار قيادة النبيﷺ بشخص معصوم، يزول أمل الكفار الوحيد.

ثانيًا: الآيات التأويلية (الباطنية)

يتعلق هذا القسم بالآيات التي استُخدمت في خطبة الغدير. بعض الآيات المتعلقة بالغدير يتحدّث ظاهرها عن واقعة أخرى، ولكن رسول اللهﷺ استشهد أو استند إلى تأويلها أو باطنها. أي أنه يمكن إدراك التأويل أو الباطن للآية بمساعدة حديث الغدير. لأنه بناءً على صريح القرآن: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" (آل عمران، ٧). فالقرآن له تأويل، وعلمه لله وللراسخين في العلم.

يمكن الإشارة كمثال إلى تأويل "جَنْبِ اللَّهِ" بالإمام عليعليه السلام. حيث يقول رسول اللهﷺ في الخطبة: "مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّهُ جَنْبُ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ فِي كِتَابِهِ يَا حَسْرَتاه عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ" (الخطبة). المقصود بـ "الجنب" هو الحاصرة، وفي هذه الآية (الزمر، ٥٦) يُقصد به كل ما يقع في ناحية الله وجنبه، مثل كتبه وتعاليمه السماوية، لكن في حديث الغدير، تم تأويل "جنب الله" بالإمام عليعليه السلام، أي أن باطن الآية هو الإمام عليعليه السلام الحامل والمُبلّغ للأوامر الإلهية، وسوف يندم المجرمون يوم القيامة ويتحسرون على التقصير في حقه.

مثال آخر في خطبة الغدير هو قوله: "مَعَاشِرَ النَّاسِ الْقُرْآنُ يُعَرِّفُكُمْ أَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدُهُ وَ عَرَّفْتُكُمْ أَنَّهُمْ مِنِّي وَ مِنْهُ حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ وَ قُلْتُ لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا" (الخطبة). تفسير "كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ" في الآية ٢٨ من سورة الزخرف يتعلق بالنبي إبراهيمعليه السلام ونسله، حيث يُقصد به بقاء كلمة التوحيد من الله أو من إبراهيمعليه السلام في نسله. ولكن في الخطبة، تم تأويل "كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ" على الأئمة من نسل الإمام عليعليه السلام. بالطبع، لدينا روايات أخرى في هذا السياق تشير إلى أن المقصود من "عقب إبراهيمعليه السلام الذي استقر فيه التوحيد" هو أمته أو سلالته، وأن آل محمدﷺ من

أبرز مصاديقها (رضائي أصفهاني، ١٣٨٧هـ، ج١٨، ص ٣٤٦).

وهناك موضع آخر يمكن الإشارة إليه وهو المقطع: "مَعَاشِرَ النَّاسِ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ- وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ مَعَاشِرَ النَّاسِ آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا مَعَاشِرَ النَّاسِ النُّورُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي مَسْلُوكٍ ثُمَّ فِي عَلِيٍّ- ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَى الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ الَّذِي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللَّهِ وَ بِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنَا لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ قَدْ جَعَلَنَا حُجَّةً عَلَى الْمُقَصِّرِينَ وَ الْمُعَانِدِينَ وَ الْمُخَالِفِينَ وَ الْخَائِنِينَ وَ الْآثِمِينَ وَ الظَّالِمِينَ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ" (الخطبة). في هذا الجزء، يشير النبي صلى الله عليه وآله إلى الآية: "فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (التغابن، ٨).

التفسير والمراد من كلمة "النُّورِ" في الآية الشريفة هو القرآن (الطبرسي، ١٣٧٢هـ، ج١٠، ص ٤٥٠)، ولكن في هذه الخطبة وفي روايات أخرى، تم تأويل النور بأهل البيت عليهم السلام، أو بحقيقة مرافقة لأهل البيت عليهم السلام (الحويزي، ١٣٨٣هـ، ج٥، ص ٣٤١).

ثالثًا: الآيات التطبيقية (الجري)

يرتبط هذا القسم أيضًا بالآيات التي وردت في الخطبة. بعض الآيات المتعلقة بالغدير تعبر عن معنى عام تكون واقعة الغدير أو ولاية الإمام علي عليه السلام وتفاصيل أخرى متعلقة بها من مصاديق تلك الآية، ويُطلق على هذا في علوم القرآن اسم "قاعدة الجري والتطبيق" لتوضيح دلالة الآية على ولاية الإمام علي عليه السلام.

تنقسم هذه المجموعة من الآيات إلى ثلاثة أقسام: آيات تتحدث عن أهل البيت عليهم السلام، وآيات ذُكرت في حق محبيهم، وآيات استُخدمت في حق أعدائهم.

أ) الآيات التي وردت في حق أهل البيت عليهم السلام

يقول النبي صلى الله عليه وآله في جزء من الخطبة: "مَعَاشِرَ النَّاسِ هَذَا عَلِيٌّ أَنْصَرُكُمْ لِي وَأَحَقُّكُمْ بِي وَأَقْرَبُكُمْ إِلَيَّ وَأَعَزُّكُمْ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا عَنْهُ رَاضِيَانِ وَمَا نَزَلَتْ

آيةُ رِضًى إِلَّا فِيهِ وَمَا خَاطَبَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بَدَأَ بِهِ وَلَا نَزَلَتْ آيةُ مَدْحٍ فِي الْقُرآنِ إِلَّا فِيهِ..." (الخطبة).

يقول النبي الأكرمﷺ إن آيات الرضا نزلت فقط في حق الإمام عليؑ، أي أن مصداقها الكامل هو الإمام عليؑ. ومن هذه الآيات يمكن الإشارة إلى: "قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (المائدة، ١١٩). وكذلك الآيات (التوبة، ١٠٠؛ المجادلة، ٢٢؛ البينة، ٨).

الآيات التي تبدأ بـ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" تبدأ بالإمام عليؑ. طبعًا، الآيات التي لا توبخ المؤمنين أو تذمهم، بل هي آيات مدح. وهذا يعني أن المصداق التام لـ "الذين آمنوا" بعد النبيﷺ هو الإمام عليؑ لأنه كان أول المسلمين والمؤمنين وكان يمتلك أكمل الإيمان.

كما ورد في قولهﷺ أنه لم ينزل مدح في آيات القرآن إلا وهو في حق الإمام عليؑ، أي أن الإمام عليؑ هو المصداق الكامل للآيات التي امتدحت الأفراد، مثل الآيات المتعلقة بالمُحسنين والمتقين وغيرهم.

ويكمل النبيﷺ قوله: "مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَا صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ ثُمَّ عَلِي مِنْ بَعْدِي ثُمَّ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ أَئِمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ ثُمَّ قَرَأَﷺ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى آخِرِهَا وَ قَالَ فِي نَزَلَتْ وَفِيهِمْ نَزَلَتْ وَلَهُمْ عَمَّتْ وَإِيَاهُمْ خَصَّتْ أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْغَالِبُونَ..." (الخطبة). هذا موضع آخر لتطبيق الآيات على الإمام عليؑ وذريته من الأئمةؑ في هذا الجزء من الخطبة.

في هذا الجزء، تم تطبيق الصراط المستقيم من سورة الحمد على النبيﷺ والإمام عليؑ وذريته من الأئمةؑ الذين يهتدون بالحق.

كما تم تطبيق أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون عليهمؑ، وهو إشارة إلى الآية: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ" (يونس، ٦٢)،

والآيات الأخرى القريبة منها (البقرة، ١١٢ و ٢٧٤).

وتم تطبيق حزب الله على هؤلاء المعصومين، مشيراً إلى الآيتين: "وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ" (المائدة، ٥٦) و "...أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (المجادلة، ٢٢).

طبعًا، كل هذه الحالات هي من باب التطبيق على المصداق الأتم والأكمل، ورغم أنها لا تستلزم الحصر، وأن الآيات قابلة للجري والتطبيق على مصاديق أخرى، إلا أن الحصر في الخطبة ربما يكون لأنهم في هذه المرتبة والمكانة ليس هناك شخص آخر يماثلهم أو يوازيهم. ولذلك في هذه المرتبة، تكون هذه الآيات خاصة بهم فقط.

ب) الآيات التي استُخدمت في حق محبيهم (المؤمنين الموالين لهم):

فيما يخص محبي أهل البيت عليهم السلام، يقول النبي صلى الله عليه وآله في جزء من الخطبة: "... أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ..." (الخطبة). وهذا يشير بشكل صريح إلى الآية: "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (المجادلة، ٢٢).

تذكر الآية الكريمة بشكل عام أن إحدى الصفات اللازمة لكل مؤمن هي عدم موالاة أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله. ثم تواصل الآية ذكر صفات المؤمنين وجزائهم (رضائي أصفهاني، ١٣٨٧، ج٢٠، ص ٢٧٤).

وقد طبَّق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير المؤمنين في هذه الآية على مُحبي أهل البيت عليهم السلام، وهذا في الواقع يمثل أحد أبرز مصاديق المؤمنين في هذه الآية.

مع أنه صلى الله عليه وآله قد طبَّق هذه الآية أيضًا على الذوات المقدسة لأهل البيت عليهم السلام بقوله: "... أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْغَالِبُونَ..."، وهذا من باب المصداق الأتم والأكمل ووجود المراتب.

ويقول صلى الله عليه وآله في تكملة بيانه: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ" (الخطبة). هذه الآية هي إجابة النبي إبراهيم عليه السلام على سؤال طرحه هو بنفسه على عبدة الأصنام: "فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" (الأنعام، ٨١). وقبل هذا السؤال، أشار عليه السلام إلى أن الإيمان يوجب الأمن والشرك يوجب الخوف وعدم الأمن، والآن يبيّن القانون الكلي وهو أن كل من آمن ولم يظلم نفسه ولم يلبس إيمانه بالشرك، فقد نال الهداية الإلهية وسيكون في أمن (رضائي أصفهاني، ١٣٨٧، ج٦، ص ١٤٣). والمؤمنون المذكورون في الآية بشكل عام، وكان المراد من الآية عامًا، طبَّقهم النبي صلى الله عليه وآله على مُحبي أهل البيت عليهم السلام.

المقطع التالي من كلامه صلى الله عليه وآله هو: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ آمِنِينَ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالتَّسْلِيمِ أَنْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ..." (الخطبة)، يشير إلى الآيتين: "وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ" (الزمر، ٧٣)، والآيتين: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ" (الحجر، ٤٥ و ٤٦). هذه الآيات تتحدث عن المتقين وأحوالهم يوم القيامة، وقد طبقت في الخطبة على مُحبي أهل البيت عليهم السلام.

ومن الآيات الأخرى التي طبَّقها النبي صلى الله عليه وآله على محبي أهل البيت عليهم السلام هي قوله تعالى: "...وَمَنْ يَعْمَلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ" (غافر، ٤٠)، والتي استُخدمت في مقطع الخطبة: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ... بِغَيْرِ حِسَابٍ..." (الخطبة).

هذه الآية هي استمرار لحديث مؤمن آل فرعون مع قومه، حيث بيّن سابقًا أن الدنيا دار زوال والآخرة هي دار البقاء، وأنهم إذا حكموا بالظلم فسيكون حكمهم قصيرًا وسيحاسبون يوم القيامة، أما من آمن وسار في طريق الله، فإنه يصل إلى الجنة الخالدة (رضائي أصفهاني، ١٣٨٧، ج١٨، ص ١٥٣). وقد جرى سياق هذه الآية أولًا، ثم طبقت على محبي أهل البيت عليهم السلام.[١]

إن طرح هذه الآيات والتأكيد على المحبة وثمراتها مع الإمام علي عليه السلام في موقع الغدير وخلفية تلك الظروف الزمنية، لهو أمر يستدعي التأمل بالنسبة لمن يدّعون المحبة لكنهم يقصّرون تجاه الغدير والولاية. لأن هذه الآيات وتأكيدات النبي صلى الله عليه وآله على المحبة جاءت بعد طرح وتبيين إمامة وخلافة الإمام علي عليه السلام. وهذا يعني أن شرط المحبة لأمير المؤمنين هو قبول ولايته.

ج) الآيات التي تخص أعداء أهل البيت عليهم السلام

يستخدم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بعض الأقوال في خطبة الغدير لتنبيه أعداء الإمام علي عليه السلام.

ففي جزء من الخطبة يقول النبي صلى الله عليه وآله: "أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَ عَلِي هُمْ أَهْلُ الشِّقَاقِ الْعَادُونَ وَ إِخْوَانُ الشَّياطِينِ الَّذِينَ يوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً..." (الخطبة).

في هذا المقطع، استشهد صلى الله عليه وآله بالآيات التالية:

١. آية المبذرين: "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَ كانَ الشَّيطانُ لِرَبِّهِ كفُوراً" (الإسراء، ٢٧).

٢. آية شياطين الإنس والجن: وكذلك الآية: "وَ كذلِك جَعَلْنا لِكلِّ نَبِي عَدُوًّا

١. قاعدة الجري والتطبيق مرحلتان. الآيات العامة تمرّ بمرحلة التطبيق فقط، بينما الآيات الخاصة فتمر أولًا بمرحلة إلغاء الخصوصية لتأخذ معنى عامًا، ومن ثم تتم مرحلة التطبيق.

شَياطينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يوحى بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يفْتَرُونَ" (الأنعام، ١١٢).

على الرغم من أن لفظ "المبذرين" في الآية الأولى مطلق وعام المفهوم، وكذلك كلمة "شياطين" في الآية الثانية، إلا أن النبي الأكرمﷺ طبّق هاتين الآيتين على أعداء الإمام عليعليه السلام، مصرّحًا بأنهم أهل الشقاق والظلم، ومتجاوزون للحدود الإلهية، وإخوان الشياطين.

وفيما يخص مكانتهم يوم القيامة، يقول النبيﷺ: "أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ يصْلَوْنَ سَعِيرًا أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ يسْمَعُونَ لِجَهَنَّمَ شَهِيقًا وَ هِى تَفُورُ وَ لَهَا زَفِيرٌ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّما أُلْقِى فيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يأْتِكُمْ نَذِيرٌ قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ إِلَى قَوْلِهِ فَسُحْقًا لِأَصْحابِ السَّعِيرِ." (الخطبة).

أساس كلام النبيﷺ في هذا المقطع هو آيات سورة الملك (الآيات ٧-١١)، حيث يصف حالهم في جهنم: "إِذَا أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِى تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيظِ كُلَّمَا أُلْقِى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُواْ بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَىءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَلٍ كَبِيرٍ وَ قَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُواْ بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ".

وخلال وصف جهنم، استُخدمت أيضًا آية من سورة الأعراف: "... كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكوا فيها جَميعًا..." (الأعراف، ٣٨).

في بداية سورة الملك، تتحدث الآيات عن عظمة وقدرة الله وآيات الكون. أما في الآيات التي استخدمها النبيﷺ في الخطبة، فيتحدث السياق عن أولئك الذين تجاهلوا هذه الدلائل وسلكوا طريق الكفر والشرك، ليصبحوا مثل الشياطين المعذَّبين. أي أن الخطاب في الأصل هو عن الكفار، ولكن النبيﷺ طبّق هذه الآيات بشكل عام على أعداء الإمام عليعليه السلام، بمعنى أن أحد مصاديق

الكفار أو أسوأ أنواعهم هم من يعادي الإمام علي عليه السلام.

تجدر الإشارة إلى سبب اختيار النبي صلى الله عليه وآله لهذه الآيات تحديدًا من بين آيات الجحيم الأخرى. أولًا، لأنها تتحدث عن الكفار. ثانيًا، لأن الكفار عندما يُسألون في جهنم عن مجيء النذير، فإنهم لا ينكرون المجيء، بل يقولون: "قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ".

ما هو الشيء الذي كذّبه الناس بخصوص الإمام علي عليه السلام؟ بالنظر إلى كل التصريحات التي أدلى بها النبي صلى الله عليه وآله في الخطبة بشأن خلافة وإمامة الإمام علي عليه السلام، يتضح أن أخطر أنواع العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام هو إنكار ولايته وخلافته وإمامته. لأنه لو كان المقصود من الغدير مجرد المحبة والود، فليس هناك من ينكر ذلك. ولكن النبي صلى الله عليه وآله بيّن أن عاقبة كل من ينكر هذه الولاية هي نفس عاقبة الكفار المذكورين في الآيات.

رابعاً: الآيات المرتبطة

هناك بعض الآيات التي لا تدل بشكل مباشر، من حيث الدلالة التفسيرية أو التأويلية أو التطبيقية، على واقعة الغدير، ولكنها ترتبط بها بطريقة ما.

من هذه الآيات، يمكن الإشارة إلى الآيات الأولى من سورة المعارج:

«سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ» (المعارج، ١ـ٢).

على الرغم من أن موضوع الآية هو طلب العذاب من قبل شخص ما للنبي صلى الله عليه وآله، وأن هذا العذاب يقع بالفعل، إلا أن سبب طلب العذاب مرتبط بالغدير.

ففي أحاديث أسباب النزول، نُقل أن رجلًا اعترض على تنصيب الإمام علي عليه السلام إمامًا وخليفة ووصيًا، وقال: "إن كان هذا حقًا ومن عند الله، فلتنزل عليّ حجارة من السماء"، وبالفعل حدث ذلك ونزلت الآية المذكورة التي تشير إلى هذا الموقف.

عندما نصّب رسول اللهﷺ عليًاعليه السلام خليفة له في يوم غدير خم، وقال: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ"، لم يمر وقت طويل حتى انتشر هذا الأمر في البلدان والمدن. وجاء النعمان بن الحارث الفهري إلى النبيﷺ وقال له: "أمرتنا أن نشهد بوحدانية الله وأنك رسوله، فشهدنا، ثم أمرتنا بالجهاد والحج والصيام والصلاة والزكاة، فقبلنا كل ذلك، ولكنك لم ترضَ إلا أن تنصب هذا الشاب (مشيرًا إلى عليّعليه السلام) خليفة لك، فقلت: 'مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ'. هل هذا كلام منك أم من الله؟" فقال له النبيﷺ: "والله الذي لا إله إلا هو، إنه من الله".

أدبر النعمان وهو يقول: "اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ". فإذا بصخرة تنزل من السماء على رأسه فتقتُله. هنا نزلت الآية: "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيسَ لَهُ دَافِعٌ" (الطبرسي، ١٣٧٢ش، ج١٠، ص٥٣٠؛ الثعلبي، ١٤٢٢هـ، ج١٠، ص٣٥).

النتيجة

يتضح أن عددًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم مرتبطة بغدير خم. طبعًا طريقة ارتباط الآيات ومقدار دلالتها على واقعة الغدير ليست متساوية ولا على مرتبة واحدة.

فبعض هذه الآيات هي تفسيرية (مثل آية الإكمال والإبلاغ)، وبعضها تأويلي وباطني مثل قوله تعالى: «كَلِمَةً بَاقِيَةً» (الزخرف، ٢٨) و«جَنبِ اللَّهِ» (الزمر، ٥٦). وهناك حالات هي من باب الجري والتطبيق مثل قوله تعالى: «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أو الآيات التي تمدح (المؤمنين) والتي تشمل خطاب «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا». كما أن موضوع عدد من الآيات مرتبط بواقعة الغدير، مثل قوله تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيسَ لَهُ دَافِعٌ» (المعارج، ١ـ٢).

مجموع هذه الآيات يوضح بالدقة والحساسية التي طرح بها النبيﷺ موضوع ولاية الإمام عليعليه السلام وخلافته ووصايته، وتنصيبه لهذا المقام يوم الغدير. ولقد

أشارﷺ إلى أهمية واقعة الغدير وولايته وإمامتهعليه السلام من خلال استخدام كل مسار فهمي للقرآن، سواء كان بالتصريح والتفسير، أو بالتأويل والباطن، أو بالتطبيق والجري.

فهرس المصادر

* القرآن الكريم.

١. ابن عساكر، ابو القاسم علي بن حسن. (١٤١٥هـ). تاريخ مدينة دمشق. بيروت: دار الفكر.

٢. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. (١٤٢٣هـ). معجم مقاييس اللغة. (المحقق: عبد السلام محمد هارون). بدون مكان: اتحاد الكتّاب العرب.

٣. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. (١٤٠٤هـ). معجم مقاييس اللغة. (المحقق والمصحح: عبد السلام محمد هارون، ط. الأولى). قم: مكتب الإعلام الإسلامي.

٤. الأميني، عبد الحسين. (١٤١٦هـ). الغدير في الكتاب والسنّة والأدب (ط. الأولى). قم: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

٥. الأميني، عبد الحسين. (١٤٢٦هـ). الغدير في الكتاب العزيز (ط. الثالثة). قم: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي.

٦. الثعلبي، أحمد بن محمد. (١٤٢٢هـ). الكشف والبيان المعروف تفسير الثعلبي. (المحقق: أبو محمد ابن عاشور، ط. الأولى). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٧. الحاكم الحسكاني، أبو القاسم عبيد الله. (١٤١١هـ). شواهد التنزيل (ط.الأولى). طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٨. الحويزي، عبد العلي العروسي. (١٣٨٣هـ). نور الثقلين. قم: المطبعة العلمية.

٩. الخصيبي، حسين بن حمدان. (١٤١٩هـ). الهداية الكبرى. بيروت: البلاغ.

١٠. الذهبي، محمد حسين. (١٣٨١ هـ). التفسير والمفسرون. القاهرة: دار الكتب الدينية.

١١. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد. (١٤١٢هـ). المفردات في غريب القرآن. (المحقق: صفوان عدنان داودى). دمشق ـ بيروت: دار العلم، الدار الشامية.

١٢. رضائي أصفهاني، محمد علي. (١٣٨٣ش). درآمدى بر تفسير علمى قرآن (ط. الثانية). طهران: اسوه.
١٣. رضائي أصفهاني، محمد علي. (١٣٨٧ش أ). تفسير قرآن مهر. (ط. الأولى). قم: منشورات بحوث التفسير والعلوم القرآنية.
١٤. رضائي أصفهاني، محمد علي. (١٣٨٧ش). منطق تفسير قرآن (٢) روش‌ها و گرايش‌هاى تفسيرى قرآن (ط. الثالثة). قم: منشورات جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية.
١٥. رضائي أصفهاني، محمد علي. (١٣٨٧ش ب). منطق تفسير قرآن (١) مبانى و قواعد تفسير. قم: منشورات المركز العالمي للعلوم الإسلامية.
١٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان. (١٣٦٠ه). الاتقان في علوم القرآن. القاهرة: بدون ناشر.
١٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان. (١٤٠٤ه). الدر المنثور في تفسير المأثور. قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
١٨. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه. (١٣٧٦ش). الأمالى (للصدوق) (ط. السادسة). طهران: كتابچي.
١٩. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه. (١٤٠٥ه). كمال الدين و تمام النعمة. (المصحح: علي أكبر غفاري) قم: النشر الإسلامي.
٢٠. الطباطبائي، السيد محمد حسين. (١٤١٧ه). الميزان في تفسير القرآن. قم: النشر الإسلامي.
٢١. الطبرسي، أحمد بن علي. (١٤٠٣ه). الاحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) (المحقق والمصحح: محمد باقر الخرسان). مشهد: نشر المرتضى.
٢٢. الطبرسي، فضل بن حسن. (١٣٧٢ش). مجمع البيان في تفسير القرآن. طهران: ناصر خسرو.

٢٣. الطبرسي، فضل بن حسن. (١٣٩٠ه). إعلام الورى بأعلام الهدى (ط. الثالثة). طهران: اسلاميه.
٢٤. العياشي، محمد بن مسعود. (١٤١١ه). تفسير العياشي. بيروت: موسسة الأعلمى.
٢٥. الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. (١٤٢٠ه). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (ط. الثالثة). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٦. فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم. (١٤١٠ه). تفسير فرات الكوفي. (المحقق: محمد كاظم محمودي). طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
٢٧. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (١٤١٠ه). كتاب العين. (المحقق و المصحح: الدكتور مهدي مخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، ط. الثانية). قم: نشر هجرت.
٢٨. الكليني، محمد بن يعقوب. (١٤٠٧ه). الكافي. (المصحح: علي أكبر غفاري، محمد آخوندي). طهران: دار الكتب الإسلامية.
٢٩. المجلسي، محمد باقر. (١٤٠٤ه). بحار الأنوار. بيروت: مؤسسة الوفاء.
٣٠. معرفة، محمد هادي. (١٣٨٣ش). التفسير الأثري الجامع (ط. الأولى). قم: مؤسسة التمهيد.
٣١. معرفة، محمد هادي. (١٤١٧ه). التمهيد في علوم القرآن. قم: مؤسسة النشر الاسلامى.
٣٢. مكارم شيرازي، ناصر. (١٣٧٤ش). تفسير نمونه. طهران: دار الكتب الإسلامية.
٣٣. النعماني، محمد بن إبراهيم. (١٣٩٧ه). الغيبة. (المحقق: علي أكبر غفاري). طهران: مكتبة الصدوق.
٣٤. الواحدي النيشابوري، أبو الحسن علي بن أحمد. (١٤٢٥ه). أسباب النزول. بيروت: المكتبة العصرية.